مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 8 العدد 1 / جوان 2022
ص ص 283-293

دلالة التنكير وبلاغته في القرآن الكريم

Significance of indefinite and its eloquence in the Holy Qur'an

علي بعداش
جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)، ali.badache@univ-msila.dz

الاستلام: 2022/01/16 القبول: 2022/05/13 النشر: 2022/06/30

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى البحث في دلالة التنكير وبلاغته في القرآن الكريم، بوصفه يشكل نوعا مميزا من الخطاب الإلهي المعجز، لما له من بدائع اللطائف ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وهذا حين تستخدم النكرة في سياقات ومقامات تواصلية تكون فيها الأحسن والأليق والأنسب والأبلغ في تأدية دلالات وأغراض بلاغية مستنبطة من مضمون الخطاب، مما لا تقوم به المعرفة، وهذه الظاهرة ملحوظة في سور القرآن وآياته، ومن هنا جاءت الرغبة في البحث عن دلالة التنكير وبلاغته في القرآن. انطلاقا من هذا التساؤل: فما التنكير؟ وما أغراضه البلاغية؟ والنتيجة أن للتنكير_ الذي يقع في الاسم دون غيره_ فوائد ونكت وأسرار بيانية، يشير فيها إلى حسن الكلمة وإصابتها في موقعها، يقتضيها السياق ويستدعيها المقام، كشف عن بعضها البحث من خلال الأمثلة القرآنية، ولكن ماتزال في حاجة إلى إضافة المهتمين بالإعجاز اللغوي، وإلى مزيد من التطبيقات البلاغية في القرآن الكريم. سعيا لفهم المراد والمقاصد من فحوى الخطاب القرآني.

الكلمات المفتاحية: دلالة التنكير؛ بلاغته؛ في القرآن الكريم.

Abstract:

This article aims to research the significance of indefinite and its eloquence in the Holy Qur'an, as a distinct kind of miraculous divine discourse, because of its wonderful subtleties, signs of miraculousness and the secrets of rhetoric, and this is when denial is used in contexts and communicative positions in which it is the most appropriate in performing indications. And rhetorical purposes deduced from the content of the discourse, which definite noun does not do, and this phenomenon is noticeable in the surahs and verses of the Qur'an, hence the desire to search for the significance and eloquence of indefinite in the Qur'an. Based on this question: What is indefinite noun? What are its rhetorical purposes?
The result is that the indefinite noun has benefits and rhetorical secrets, in which it refers to the goodness of the word and its correctness in its position, necessitated by the context, and the place calls it, some of which were revealed by research through Qur'anic examples, but still need to add those interested in linguistic miracles, and to more rhetorical applications in the Holy Quran. In an effort to understand the intent and purposes of the Qur'anic discourse.

Keywords: sign of denial, eloquence, the Holy Qur'an.

1.مقدمة:

التنكير الذي يقع في الاسم دون غيره من دقائق القضايا التي تنجم عن اختيار دقيق وصائب، والسبب في ذلك أن ما يدل عليه الاسم في حال التنكير، لا يدل عليه في حال التعريف تبعاً للمُتكلم والمقام والموضوع، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن النكرة كثيرة الأشخاص ينظرها العقل بالبصيرة النافذة من منسمها إلى غاربها، فيكون لها في النفس بهاء ورونق، بخلاف المعرفة، فإنها لواحد بعينه يثبت الذهن عنده، ويسكن إليه، يأتي التنكير استجابة لدواعي بلاغية سامية، اهتم به كثير من علماء النحو والبلاغة والتفسير.

واختيار الكلمة النكرة في الخطاب القرآني لها مقاصد وفوائد وأسرار إبلاغيه تفهم من السياق، ومن مطابقته لمقتضى الحال والمقام التواصلي، لا تؤدى إلا به. ولا يمكن للتعريف أن يقوم بها، جديرة بالاهتمام والكشف عنها، والبحث فيها، وهي ملحوظة في السور والآيات، تستدعي التدبر والتأمل وإمعان النظر، وإعمال الفكر بذكاء وألمعية حتى يتم استخراج بعض الكنوز والدرر البيانية من خلال التطبيقات البلاغية في القرآن الكريم، ومن هنا جاءت الرغبة في البحث عن دلالة التنكير وبلاغته في القرآن الكريم، انطلاقا من التساؤل الآتي: ما التنكير؟ وما أغراضه البلاغية؟ وهو التساؤل الذي سيجيب عنه هذا المقال.

2. تعريف التنكير لغة واصطلاحا

1.2 تعريف التنكير لغة

جاء في اللسان نكر: النُّكْرُ والنَّكْرَاءُ: الدَّهَاءُ والفطْنَةُ. ورَجُلٌ نَكِرٌ ونَكُرٌ ونُكُرٌ ومُنْكَرٌ من قوم مناكير: داه فَطِنٌ، والنُّكْرُ والنُّكُرُ: الأمر الشديد... وقد نَكُر الأمر، بالضم، أي صعُب واشتد...والنَكرةُ، إنكارك الشيء، وهو نقيض المعرفة. والنَّكرَة: خلاف المعرفة ونَكر الأمر نكيرا وأنكره إنكارا ونُكْرا: جهله... ويقال أُنكرتُ الشيء، وأنا أُنكره إنكارا ونكرته مثله.. والإنكار: الاستفهام عما ينكره... والاستنكار استفهامك أمرا تنكره... والتنكر: التغيُرُ: عن حال تسرك إلى حال تكرهها منه، والنكير، اسم الإنكار الذي معناه التغيير. وفي التنزيل العزيز: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾[1]أي إنكاري. وقد نكره فتنكر أي غيره فتغير إلى مجهول... والتناكر: التجاهل، وطريق ينكور: على غير قصد[2]. وهكذا تأتي مادة نكر بمعنى الفطنة والدهاء، والشدة والجهل والتغيير إلى مجهول وكلها تؤدي معنى يضاد المعرفة.

2.2 تعريف التنكير اصطلاحا

لم يغفل النحاة العرب عن ظاهرتي التعريف والتنكير والدليل على ذلك أنهم عرفوا التنكير بالشيوع وعليه فالنكرة هي ما دلّ على ما هو شائع في جنسه وعام وأشار سيبويه إلى تحديد النكرة على أساس من دلالتها على الشيوع فقال في معرض حديثه عن النعت الجاري على المنعوت:(... وإنما كان نكرة لأنه من أمة كلها له مثل اسمه.) وقال المبرد: (وذلك الاسم المنكر هو الواقع على كل شيء من أمته لا يخص

[1] الحج، الآية: 42

[2]ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، لسان العرب مادة (نكر) ج14 ص ص: 281 ،282 القاهرة – مصر، (دت).

واحدا من الجنس دون سائره وذلك نحو: رجل وفرس وحائط وأرض.) وقال ابن مالك: (... ما كان شائعا في جنسه كحيوان أو في نوعه كإنسان فهو نكرة.) وقال ابن هشام:(فأما النكرة فهي عبارة عما شاع في جنس موجود أو مقدر، فالأول كرجل فإنه موضوع لما كان حيوانا ناطقا ذكرا، فكلما وجد من هذا الجنس واحد فهذا الاسم صادق عليه، والثاني كشمس، فإنها موضوعة لما كان كوكبا نهاريا ينسخ ظهوره وجود الليل فحقها أن يصدق على متعدد كما أن رجلا كذلك، وإنما تخلف ذلك من عدم وجود أفراد لها في الخارج، ولو وجدت لكان هذا اللفظ صالحا لها، فإنه لم يوضع على أنه يكون خاصا كزيد وعمرو، وإنما وضع أسماء الأجناس). وقال مصطفى الغلاييني: (كل اسم دل على غير معين)، وذكر النحاة درجات للتنكير تبدأ بالأشيع وتنتهي بالأقل شيوعا.

وتلتقي قمة التدرج الهرمي للتنكير بقاعدة التدرج الهرمي للتعريف عند نقطة يطلق عليها النحاة التخصيص. فقل إن شئت: إنه هرم واحد يبدأ بأشيع درجات التنكير، وينتهي بأرفع درجات التعريف).

3.دلالة التنكير وأغراضه البلاغية

للتنكير في القرآن الكريم دلالات وأغراض بلاغية متعددة، تفهم من سياق الخطاب، هي من درر كنوزه ونفائس أسراره، وفرائد بيانه، ومن سمات إعجازه اللغوي ومؤشراته، تتجلى فيما يأتي:

1.3التعظيم والتفخيم

قد يقوم التنكير مقام الوصف المحذوف الدال على التعظيم المستفاد من مضمون الخطاب، وقرائن الحال والمقام، فيدل التنكير على التعظيم. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

المتدبر في هذه الآية القرآنية يجد أن كلمة (ليلا) وردت نكرة قصد التعظيم بدلالة قرينة الحال والمقام، لذلك حسن في الخطاب القرآني حذف الوصف الدال على التعظيم، وقام التنكير مقامه، والتقدير هو ليل عظيم والله أعلم. قال ابن عاشور (فتنكير ليلا للتعظيم ، بقرينة الاعتناء بذكره مع علمه من فعل(أسرى) وبقرينة عدم تعريفه؛ أي هو ليل عظيم باعتبار جعله زمنا لذلك السرى العظيم، فقام التنكير مقام ما يدل على التعظيم)[2].غير أن الزمخشري يرى أن تنكير (ليلا) للتقليل؛ أي تقليل مدة الإسراء حيث قال: (أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء ، وأنه أسري به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية، ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل؛ أي بعض الليل كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ

[1]الإسراء، الآية: 1.

[2]محمد الطاهر بن عاشور، (ت،1393)،التحرير والتنوير ج 15 ص: 11 ،12. الدار التونسية للنشر.

رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾[1].على الأمر بالقيام في بعض الليل)[2].

وتبعه في ذلك أبو السعود قائلا: (لإفادة قلة زمان الإسراء لما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الأجزاء دلالته على البعضية من حيث الأفراد، فإن قولك: سرت ليلا كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي، يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما إذا قلت: سرت الليل، فإنه يفيد استيعاب السير له جميعا، فيكون معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة (من الليل) أي: بعضه)[3].

ونخلص من خلال هذا أن معيار استنباط الغرض البلاغي من التنكير يتوقف على الذوق والفطنة والذكاء وسعة الفهم، لذلك نجده يختلف باختلاف هذه الملكات، ويتحدد وفق هذه القدرات، وهذا ما لاحظناه مع الطاهر بن عاشور الذي فهم من تنكير كلمة (ليلا) في الآية القرآنية السابقة الذكر معنى التعظيم، بينما فهم منه الزمخشري تقليل مدة الإسراء، وفهم منه أبو السعود معنى قلة زمان الإسراء. وعلى كلٍّ فهي اجتهادات معتبرة تعبر عن دلالات محتملة.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَاذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾[4]. وردت كلمة (حَرْبٍ) للتعظيم والتهويل؛ أي: بحربٍ عظيمة شديدة مهولة مخيفة كَوْنُها من الله ورسوله، وكونُها عقوبة على معصيةٍ هي من الكبائر. قال الشوكاني :(تنكير الحرب للتعظيم، وزادها تعظيما نسبتها إلى اسم الله الأعظم، وإلى رسوله الذي هو أشرف خليقته)[5]،

و منه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[6]؛ أي لكم في هذا الحكم الذي شرعه الله لكم حياة، لأن الرجل إذا علم أنه يقتل قصاصا إذا قتل آخر كف عن القتل، وانزجر عن التسرع إليه والوقوع فيه، فيكون ذلك بمنزلة الحياة للنفوس الإنسانية، وهذا نوع من البلاغة بليغ وجنس من الفصاحة رفيع، فإنه جعل القصاص الذي هو موت حياة باعتبار ما يؤول إليه من ارتداع الناس عن قتل بعضهم بعضا إبقاء على أنفسهم واستدامة لحياتهم)[7]. حيث دل تنكير لفظ (حياة) في الآية الكريمة على التعظيم ؛ أي حياة عظيمة والله أعلم، ويشفع لهذا قول ابن عاشور:(والتنكيرفي (حياة) للتعظيم بقرينة

---

[1]الإسراء، الآية: 79 .

[2] االزمخشري، محمود بن عمر (ت 538 ه)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، تح، عبد الرزاق المهدي، ج 2 ص: 621، 622. نشر دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت.

[3]أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج 4 ص: 109. دار المصحف مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد _ القاهرة.

[4]البقرة، الآية :278.

[5]الشوكاني ، محمد علي (ت 125ه)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج 1 ص: 405 ، ط2 ، نشر مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، 1383 ه _ 1964 م.

[6]البقرة: الآية: 178.

[7] فتح القدير ج1 ص: 246 _ 247.

المقام؛ في القصاص حياة لكم؛ أي لنفوسكم)[1] وقال الشوكاني: (أي لكم في هذا الحكم الذي شرعه الله لكم حياة، لأن الرجل إذا علم أنه يقتل قصاصا إذا قتل آخر كف عن القتل، وانزجر عن التسرع إليه والوقوع فيه، فيكون ذلك بمنزلة الحياة للنفوس الإنسانية، وهذا نوع من البلاغة بليغ وجنس من الفصاحة رفيع، فإنه جعل القصاص الذي هو موت حياة باعتبار ما يؤول إليه من ارتداع الناس عن قتل بعضهم بعضا إبقاء على أنفسهم واستدامة لحياتهم)[2]

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾[3].

قال الشوكاني: (التنكير في قوله: (فضل) للتعظيم، أي لذو فضل عظيم على الناس جميعا)[4].

ومن التفخيم قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾[5].قال الشوكاني:(ومعنى سواها خلقها وأنشأها وسوى أعضاءها، قال عطاء: يريد جميع ما خلق من الجن والإنس، والتنكير للتفخيم)[6].

2.3 التقليل والتحقير

منه قوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[7]

إذا نظرنا إلى هذه الآية القرآنية وجدنا أن لفظ (قول معروف) ورد نكرة قصد التقليل بدلالة قرينة الحال والمقام، لذلك حسن في الخطاب القرآني حذف الوصف الدال على القلة، وقام التنكير مقامه، والتقدير قول معروف قليل خير من صدقة يتبعها أذى، والله أعلم. قال ابن عاشور:(وتنكير قول معروف للتقليل؛ أي أقل قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى)[8].

ومنه قوله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[9] قال ابن عاشور: (فالتنكير في قوله (شيئا)للتقليل والتحقير)[10].

ومنه قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [11] أفاد تنكير لفظ(أذن واعية) دلالة التقليل،قال الزمخشري: (فان قلت: لم قيل (أذن

[1] التحرير والتنوير ج 2 ص: 144.
[2] فتح القدير ج1 ص: 246 _ 247.
[3] البقرة، الآية :241.
[4] فتح القدير ج 1 ص: 357.
[5] الشمس، الآية: 7.
[6] فتح القدير ج5 ص: 534.
[7] البقرة،الآية: 262.
[8] التحرير والتنوير، ج 3 ص ك 47.
[9] المائدة، الآية: 19.
[10] التحرير والتنوير ج6 ص: 154.
[11] الحاقة، الآية:11.

واعية) على التوحيد والتنكير؟ قلت: للايذان بأن الوعاة فيهم قلة، ولتوبيخ الناس بقلة من يعى منهم. وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله، وأن ما سواها لا يبالي بهم بالة، وإن ملئوا ما بين الخافقين)[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3].ويبين أن تنكير العقدة وتنكير النفس لغرض التقليل[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[5]. أي رضوان قليل من الله أكبر من أي رضوان فالتنكير أفاد التقليل.

وقد يأتي التنكير للتحقير ومن ذلك ما نجده في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَالذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلاَّ كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلَـٰلٍ﴾[6]. وهذا ما يراه ابن عاشور حيث يقول: (وتنكير شيء للتحقير، والمراد أقل ما يجاب به من الكلام)[7].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَ لَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلاَمْوَٰلِ وَالاَنفُسِ وَالثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[8].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً لاَّ تَجْزِے نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلاَ يُوخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾[9].

قال الشوكاني المراد أن هذا اليوم لا تقضي نفس عن نفس شيئا ، ولا تكفي عنها ، ومعنى التنكير للتحقير ، أي شيئا يسيرا حقيرا)[10].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[11]

والمعنى: ولتجدنهم أحرص الناس على حياة دائمةكاملة غير منقطعة"؛ لأنَّ معنى أحرص النَّاس أحرص من الناس وأنهم كرهوا الموت

[1] الكشاف ج4،ص:481.

[2] طه، الآية: 26.

[3] الحشر، الآية:18.

[4] ينظر الكشاف ج3،ص: 48، ج4، صك 406.

[5] التوبة، من الآية: 73. وينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة العربة قراءة أخرى، ص: 234. ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مكتبة ناشرون لبنان 1997 م.

[6] الرعد، الآية:15.

[7] التحرير والتنوير ج 13ص: 109.

[8] فتح القدير ج 1 ص: 225.

[9] البقرة، الآية: 47.

[10] فتح القدير ج 1 ص: 126.

[11] البقرة، الآية: 95.

لعلمهم بمالهم في الآخرة من الخز يوالهوان الطويل، والتعبير (أحرص) بصيغة التفضيل وهي تعبر عن نهاية حرص النَّفس على البقاء في الدُّنيا)1ونجدكذلك إيحاء هذاالتنكيرفي كلمة (حياة) تُشعرُبقدرمُمكن من الحياة ومهماكان يسيراً خاوياً من أيَّة قيمةكريمة،فأثار ورودها بالتنكيرمعنى التحقير،ومن ثَمّ أفادت أنَّ اليهود أشدّ حرصا على الحياة المتطاولة من أولى فعبرت كلمة حياة في هذا المورد بآن واحد عن ضآلة قيمة الحياة الدنيا وشدة تكالب اليهود عليها)

3.3 الإفراد

قد يدل التنكير على الإفراد ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّومِنٌ مِّنَ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[2].أي فرد واحد من الرجال.

4.3 الندرة

ومن دلالة التنكير على الندرة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[3].قال ابن عاشور: (ونكرت سيئة لندرة وقوعها عليهم ؛ ولأن شيء غير مألوف حلوله بهم أي وإن تصبهم آية سيّئة)4 و ذهب الشوكاني المذهب نفسه أي أن تنكير (سيئة) يفيد ندرة الوقوع (ووجه تنكير السيئة ندرة وقوعها)[5].

5.3 النوعية

يأتي التنكير للدلالة على النوعية ومن ذلك قوله تعالى:﴿ أَو عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[6]، قال ابن عاشور: (وتذكير (ذكر) و(رجل) للنوعية؛ إذ لا خصوصية لذكر دون ذكر، ولا لرجل دون رجل، فإن الناس سواء، والذكر سواء في قبوله لمن وفقه الله ورده لمن حرم التوفيق، أي هذا الحدث الذي عظمتموه وضججتم له ما هو إلا ذكر من ربكم من رجل منكم[7].

و منه قوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[8]. قال ابن عاشور: و تنكير(قوما) للنوعية إذ لا تعيين لهؤلاء القوم ضرورة أنه معلق على شرط عدم التغيير، و هم قد نفروا لما استنفروا إلا عددا غير كثير، و هم المخلفون"[9].

---

[1]الرازي فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي (ت 604هـ)، التفسير الكبير، ج 3 ص ، 176، بيروت لبنان ط1 ، دار الكتب العلمية بلبنان1421 هـ ـ 2000 م .

[2] غافر، الآية 28 وينظر:الإيضاح،ج1 ص: 46.

[3]الأعراف، الأية: 130.

[4]التحرير والتنوير ج 9 ص: 65.

[5]فتح القدير ج 2 ص: 302.

[6]الأعراف، الآية: 62.

[7]التحرير والتنوير، ج8، ص: 196.

[8]التوبة، الآية: 39.

[9]التحرير والتنوير: ج10، ص: 200.

و قد تتداخل النوعية مع التعجب و التوصيف كما قال تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ۚ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. قال ابن عاشور:(فيكون تنكير النوعية لدفع الاستبعاد أي : هو كتاب عظيم تنويها بشأنه فصار التنكير في معنى التوصيف، وإما لأنه أريد بالتنكير التعجيب من شأن هذا الكتاب في جميع ما حف به من البلاغة والفصاحة و الإعجاز والإرشاد، و كونه نازلا على رجل أمي[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَّمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَّمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَّمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

جَاءَ في هذه الآية تنكير لفظ (ماء) لإفادة أنّه نوع خاصٌّ من أنواع المياه، وهو الماء الذي تَنْعَقِدُ منْهُ الأجنَّة.

ويتساءل الزمخشري عن سرّ تنكير (صيّب) وتعريف (السماء) في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌۢ بِالْكَٰفِرِينَ﴾[4].أنّ الصيّب معروف أنّه لا ينزل إلّا من السماء قال : وتنكير صيّب لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل، وأمّا السماء فقد جاء بها معرفة فنفى أن يتصوّب من سماء أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق لأنّ كلّ أفق من آفاقها سماء ، والمعنى أنّه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء، وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء، والتنكير أمد ذلك بأن جعله مطبقا"[5] .

6.3 التكثير

يأتي التنكير للتكثير بدلالة القرائن والمقام و منه قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ۖ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[6] المتأمل في تنكير كلمة (وجوه) في هذه الآية القرآنية ، يفهم أنها تدل على التكثير بدلالة قرينة صيغة فعول التي هي من صيغ جمع التكسير الموضوعة للكثرة ، وبقرينة المقام، قال الشوكاني:(التنكير في وجوه للتكثير ، أي وجوه كثيرة)[7].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[8]. قال الشوكاني (التنكير في رسل للتكثير أي (برسل كثيرة)[9].

---

[1] الأعراف، الآية: 1.

[2] التحرير والتنوير، ج8، ص:11.

[3] النور، الآية: 43.

[4] البقرة،الآية: 18.

[5] الكشاف ج 1 ص: 81.

[6] آل عمران: 106

[7] فتح القدير ج 1 ص: 499.

[8] الرعد، الآية :33.

[9] فتح القدير ج 3 ص: 106.

وقوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾[1]؛ أي كثيرًا غير منقطع، ونحو قولنا (هو عنده مال) أي كثير.

7.3 التهويل

من أغراض التنكير البلاغية التهويل ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلأَعْرَابِ لِيُؤذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].قال ابن عاشور : وتنكير عذاب للتهويل والمراد به عذاب جهنم) [3].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعاً حَسَناً إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[4]. قال ابن عاشور : وتنكير يوم للتهويل ، لتذهب نفوسهم للاحتمال الممكن أن يكون يوما في الدنيا أو في الآخرة ؛ لأنهم كانوا ينكرون الحشر ، فتخويفهم بعذاب الدنيا أوقع في نفوسهم ، وبذلك يكون تنكير يوم صالحا لإيقاعه مقابلا للجزاءين)[5].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[6] قال ابن عاشور : (وتنكير أمرا للتهويل)[7] ومنه قوله تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[8]قال الشوكاني مبيناً ذلك :(هو يوم القيامة وتنكيره للتهويل) . فهو يوم لا يعرف كنهه ولا يستطيع أحد تصور ما فيه من هول، لذا جاء نكرة لتهويل أمره، ولتذهب العقول في تصوره كل مذهب)[9].

8.3 العموم والشمول

قد يفيد التنكير العموم والشمول ومن ذلك قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُومِنُونَ وَالْيَوْمِ ٱلآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ﴾[10] قال ابن عاشور :(ولفظ (شيء) نكرة متوغلة في الإبهام ، فهو في حيز الشرط يفيد العموم ؛ أي في كل شيء فيصدق بالتنازع في الخصومة على الحقوق ، ويصدق بالتنازع في اختلاف الآراء عند المشاورة ، أو عند مباشرة عمل ما ، كتنازع ولاة الأمور في إجراء أحوال الأمة)[11].

[1] القلم،الآية: 3.
[2] التوبة، الآية: 91.
[3] التحرير والتنوير ج 10:ص: 293.
[4] هود، الآية: 3.
[5] التحرير والتنوير ج 11 ص: 319.
[6] يوسف، الآية: 18.
[7] التحرير والتنوير ج ص: 238.
[8] البقرة، الآية: 280.
[9] الفتح القدير ج 1 ص: 406.
[10] النساء، الآية: 58.
[11] التحرير والتنوير ج5 ص: 99.

ومنه قوله تعالى:﴿وَلاَ يَابَ كَاتِبٌ آنْ يَّكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾[1] .قال الشوكاني: (النكرة في سياق النفي مشعرة بالعموم ؛ لا يمتنع أحد من الكتاب أن يكتب كتاب التداين كما علمه الله)2. فهو عام لكل من عرض عليه أن يكتب كتاب الدين، قال الزمخشري: (ولا يمتنع أحد من الكتاب، وهو معنى تنكير كاتب)[3] .

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ ـامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[4]. قال ابن عاشور: (ووقوع قرية وهو نكرة في مساق الإثبات أفاد العموم بقرينة السياق)[5].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[6] . قال ابن عاشور : (قوم نكرة في سياق الشرط تفيد العموم ، أي كل قوم تخاف منهم خيانة)[7].

9.3 الابهام

قد يأتي التنكير للدلالة على الإبهام لأجل الإثارة في الكلام. و من ذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰئِكَ عَلَىٰ هُدىً مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[8] : قال الزمخشري: (ونكر (هدى) ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل: على أي هدى، كما تقول: لو أبصرت فلانا لأبصرت رجلا)[9].

ويلمح هذا المعنى ويصيب غاية الاصابة في قوله تعالى: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنْ بَعْدِهِۦ قَوْماً صَـٰلِحِينَ﴾[10] اطْرَحُوهُ يقول: ((أرضا منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف. ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة)[11].

. خاتمة:

بعد التأمل والتدبر في دلالة التنكير وبلاغته التطبيقية في القرآن الكريم خلص البحث إلى النتيجة الآتية:

أن التنكير يقع في الاسم دون غيره، وأن له فوائد ودلالات وأغراض بلاغية مستنبطة من مضمون الخطاب، يؤديها بدلالة القرائن والسياق والمقام التواصلي، يكون فيها هو الأحسن والأليق والأنسب والأبلغ، مما لا تقوم به المعرفة، وهذا يعني أن له مقاما لا يليق بالتعريف، وهذه الظاهرة ملحوظة في سور القرآن وآياته،كشف عن بعضها البحث من

[1] البقرة، الآية: 281.
[2] فتح القدير ج1 ص: 408.
[3] الكشاف ج 1 ص: 288.
[4] يونس، الآية: 98.
[5] التحرير والتنوير ج 11 ص: 289.
[6] الأنفال، الآية: 59.
[7] التحرير والتنوير ج 1 ص: 740.
[8] البقرة، الآية: 4.
[9] الكشاف ج1، ص: 35.
[10] يوسف، الآية:9.
[11] الكشاف ج2،ص: 348.

خلال الأمثلة القرآنية، ولكن ماتزال في حاجة إلى إضافة المهتمين بالإعجاز اللغوي، وإلى مزيد من التطبيقات البلاغية في القرآن الكريم. سعيا لفهم المراد والمقاصد من فحوى الخطاب القرآني.

5. قائمة المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.

1_ حسن ضياء الدين عتر، بينات المعجزة الخالدة، دار النصر حلب سوريا (د، ت).

2_ الرازي فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي (ت 604هـ)، التفسير الكبير، ط1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1421 هـ 2000 م.

3_ الزمخشري الكشاف الزمخشري محمود بن عمر (ت 538 هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، تح، عبد الرزاق المهدي، نشر دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت.

4_ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار المصحف مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد _ القاهرة.

5_ سيبويه ابو بشر عمر بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل بيروت.

6_ الشوكاني فتح القدير الشوكاني، محمد علي (ت 125هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط2، نشر مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، 1383 هـ _ 1964 م.

7_ الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكليات تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط2، مؤسسة الرسالة 1993.

8_ ابن مالك أبو عبد الله محمد جمال الدين (ت 672هـ) شرح الكافية الشافية تحقيق عبد المنعم هريدي مكة المكرمة 1982.

9- المبرد أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285 هـ)، المقتضب تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة 1399،1386هـ.

10_ محمد الطاهر بن عاشور، (ت،1393)، التحرير والتنوير الدار التونسية للنشر.

11_ محمد عبد المطلب، البلاغة العربة قراءة أخرى، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مكتبة ناشرون لبنان 1997 م.

12- محمود أحمد نحلة التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، دار المعرفة الجامعية 2013 جامعة الإسكندرية.

13_ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، راجعه ونقحه عبد المنعم خفاجة، ط30، منشورات الكتب العصرية صيدا بيروت.1414هـ _ 1994.

14_ ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، لسان العرب مادة (نكر) القاهرة – مصر، (دت).

15-ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت 761هـ) شرح قطر الندى وبل الصدى تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة 1966